

# الإمام الشيعي تشكيل الصورة وبناء السلطة: الإمام علي بن أبي طالب أنموذجاً

خديجة سمعلي  
باحثة تونسية



قسم الدراسات الدينية

## الملخص والمخطط:

يحظى الإمام علي بن أبي طالب بمكانة مهمة لدى السنة والشيعية على حدّ سواء، لكن في المنظور الشيعي يرقى إلى مستويات عليا لا يرقى إليها غيره من الصحابة المعاصرين له؛ فهو الإمام المنصوص عليه في القرآن وفي أحاديث الرسول، إذ تميّز بخصال جعلته مضرب الأمثال على مرّ العصور، فهو الحكيم المفوّه والسياسي المحنّك والمستشار المؤتمن وصاحب البلاغة القوية. من هذا المنظور، أردنا دراسة صورة الإمام علي في الرؤية الشيعيّة، هذه الصورة التي وجدناها مغرقة في المثالية والأسطورية. وكان مخططنا كالتالي:

مدخل مفهومي: التركيز على بعض المصطلحات: صورة، إمام، اثنا عشرية، معجزة.

صورة علي في حياة الرسول.

صورة علي في خلافة الثلاثة.

صورة علي زمن خلافته.

## المقدمة:

الرسول "محمد"، "علي بن أبي طالب، عمر بن الخطاب، أبو بكر الصديق، عثمان بن عفان" شخصيات كان لها أثر جلي؛ فبعد الرسول محمد حظي علي بن أبي طالب بمكانة مميزة لدى السنّة والشيعّة، وكانت مغرقة في المثالية أحاطت بها هالة من القداسة لدى الشيعة خاصة، إذ رأت فيه من العظمة ما يفوق الخيال. يقول الأستاذ محمد بوهلال في هذا الإطار: "ومن بين أفراد أهل البيت يحظى علي بن أبي طالب بمكانة أثيرة، إذ يعدّ الإمام الأنموذج، وهو يحظى بإجماع الشيعة والسنة معاً، لكن الشيعة تعتبره أفضل المؤمنين على الإطلاق".<sup>1</sup> لذلك تعدّ شخصية علي بن أبي طالب من أهم الشخصيات التي عرفها التاريخ، وذلك لما جمعه من سمات النبّل والقوة ما جعلها شخصية رائعة ومستقيضة، فكانت سيرته تحاكي الإنسان حيثما أتجه، فتلقت في سيرته ضروب من العطف ومواقع العبرة والتأمّل وسير الأبطال والعظماء. كما "كانت سيرة علي ملقياً العاطفة والإحساس المتطلّع إلى الرحمة والإكبار، لأنّه الشهيد أبو الشهداء"<sup>2</sup> (الحسن والحسين). كما كان تاريخه تاريخاً مملوءاً بمحطات الجهاد والمعرفة، وقد حفلت سيرته بالبطولات "فهو الشجاع الذي نزلت به الشاعرية منزع الحقيقة ومنزع الخيال، واشترك في تعظيمه شهود العيان وعشاق الأعاجيب".<sup>3</sup> التقت في سيرته ضروب الفكر الخلاق والحكمة الباهرة، لأنه صاحب آراء في التصوّف والشريعة والأخلاق سبقت جميع الآراء في الثقافة العربية الإسلامية. ويتجلّى هذا في الذوق الأدبي الراقى الذي جعله أديباً بليغاً له نهج مميز في الأدب والبلاغة، اهتدى به المهتدون، وأخذ به الضالّون في كتاب من أشهر الكتب "نهج البلاغة"، إلى جانب فضائل وسمات اختصّ بها، فكانت ميزة له عن غيره. ففي كتب التاريخ والفقّه وحديث الرسول أخذت صورة "علي" مكانتها إذ أصبح يعيش في تاريخية واسعة تصل إلى عصرنا وإلى العصور اللاحقة، وفي الخرافة الشعبية التي جعلته بطل الإسلام المبكّر، "البطل الممتاز"<sup>4</sup> على حدّ عبارة هشام جعيط، وهذه الصورة ارتقت به إلى أن يصبح واحداً من أكبر أئمة الدين في الإسلام. فهذه السمات وغيرها حدثت بأصحاب علي وشيعته إلى رسم صورة خلّاقة له، وقد اخترنا دراسة صورة الإمام الشيعي "علي بن أبي طالب نموذجاً" نظراً للأهمية التي حظيت بها هذه الشخصية على مرّ التاريخ في مجال المخيال السني والشيعي بصفة خاصة. وعند تناولنا لهذا الموضوع "صورة الإمام الشيعي" كثيراً ما تساءلنا عن جدوى دراسة وكيفية معالجة هذا الموضوع لتتّصل على زاد معرفي، خاصة أنّ الكتب التي دُوّنت حول هذه الشخصية كانت أكثر من أن تحصى، وقد

<sup>1</sup> - محمد بو هلال، العقدي والمعرفي في علم الكلام، طبعة كلية الآداب بسوسة، 2008، ص 234

<sup>2</sup> - عباس محمود العقاد: ملقّى النفوس البشرية، نقلاً عن شرح نهج البلاغة، محمد عبده، دار البلاغة للطباعة، بيروت 1989، ط4، ص 45

<sup>3</sup> - م ن، ص 45

<sup>4</sup> - هشام جعيط، الفتنة، دار الطليعة، بيروت 1990، ص 302

سعيانا من وراء بحثنا إلى إلقاء المزيد من الضوء على هذا الموضوع، وخاصة فيما يتعلّق بصورة علي بن أبي طالب عبر مراحل تاريخية معينة، وقد قام عملنا على ثلاثة محاور رئيسية:

أولاً: التعريف بالمصدرين اللذين سيقع الاشتغال عليهما "الإرشاد إلى حجج الله على العباد" للشيخ المفيد، و"نهج الحق وكشف الصدق" للإمام الحلّي.

ثانياً: حاولنا التعريف بأهم المصطلحات التي كانت محل اهتمام في بحثنا "صورة، إمام، شيعة، معجزة".

ثالثاً: العنصر المهم، ويشكل حجر الزاوية في البحث، وقد قمنا فيه بكشف النقاب عن صورة الإمام الشيعي "علي بن أبي طالب" في ثلاث محطات تاريخية في حياة الرسول "محمد"، وعهد الخلفاء الراشدين الثلاثة، وزمن خلافته هو.

## الفصل الأول: مدخل مرجعي ومفهومي

### 1- مدونة البحث

في هذا القسم من البحث سنحاول الاهتمام بالمصدرين اللذين سيقع الاشتغال عليهما، فسنركز في مرحلة أولى على تعريف كتاب الإرشاد إلى حجج الله على العباد للشيخ المفيد، ثم بمنهج الحق وكشف الصدق، وهو كتاب من تأليف الإمام الحلّي، وقد اهتمنا بهما لأنهما من أمهات الكتب في التراث الشيعي ولغزارة المادة المتوفرة فيهما.

#### أ- الإرشاد إلى حجج الله على العباد

كتاب لأبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام بن جابر بن النعمان بن سعيد بن جبير المعروف بابن المعلم، والمشتهر بالشيخ المفيد المولود في الحادي عشر من ذي القعدة سنة ثمانٍ وثلاثين وثلاثمائة، والمتوفى في ليلة الجمعة لثلاث خلون من شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وأربعمائة عن عمر ناهز ستة وسبعين عاماً، وهو من قبيلة يعرب بن قحطان، وكان هذا الشيخ من أهم رؤوس الشيعة وأساتذتهم، فقد كان فقيهاً وملكماً، عرف بعلمه ودقة فطنته، يقول حسين الأعلمي في تعريفه للشيخ المفيد "كان من أجلاء مشايخ الشيعة ورئيسهم وأستاذهم وفضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية، وأوثق أهل زمانه وأعلمهم، وانتهت رئاسة الطائفة الإمامية في وقته إليه"<sup>5</sup>، وهذا يدلّ على المكانة المميزة لهذا المؤلف، وقد تعلم الشيخ

<sup>5</sup> - الشيخ المفيد، الإرشاد "مقدمة كتاب الإرشاد"، حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1998، ط1، ص 5

المفيد على يد الشيخ علي بن عيسى الرماني، وهو من أعظم علماء الكلام حسب ما ورد ذكره في مقدمة كتاب الإرشاد، وقد كان الشيخ المفيد كما قال عنه ابن حجر في لسان الميزان "كثير النقش والتخشع والانكباب على العلم، تخرج به جماعة وبرع في المقالة الإمامية"<sup>6</sup>. فقد ألمّ بمختلف العلوم، وكان بارعاً فيها، له مؤلفات بلغت مائتي كتاب في الفقه والكلام والحديث، نذكر منها كتاب المقنعة والأمالي والإرشاد إلى حجج الله على العباد، وقد صدر هذا الكتاب سنة (1429هـ/2008م) عن مؤسسة الأعلمي للطبوعات بيروت، وتبلغ صفحات هذا الكتاب ثلاثاً وستين وأربعمائة صفحة تعرض فيه صاحبه إلى التعريف بسيرة الأئمة الاثني عشر، وهم علي بن أبي طالب - الحسن بن علي - الحسين بن علي - علي بن الحسين أو زين العابدين - محمد الباقر - جعفر الصادق - موسى الكاظم - علي الرضا - محمد الجواد التقي - الحسن العسكري - وأخيراً محمد المهدي المنتظر الحجة أو الإمام الغائب. وقد اهتم فيه المؤلف بالتعريف بهؤلاء الأئمة فتضمن تواريخ حياتهم وكراماتهم وولاداتهم ووفياتهم كما تضمن طرفاً من أقوالهم وأفعالهم وطرفاً من أخبارهم. وقد بلغ هذا الكتاب من الأهمية أن أصبح مرجعاً شيعياً مهماً، اعتمد عليه كبار علماء الشيعة، واعتبروه من أبرز المصادر في موضوعه، وأعاروه عناية ومكانة مهمة نظراً لقيمته من جهة ولمكانة مؤلفه من جهة ثانية، وقد تمت ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة الفارسية في إيران سنة 1303هـ.

### ب- نهج الحق وكشف الصدق

صدر هذا الكتاب عن دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، ومؤلفه الإمام جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن علي بن محمد المطهر المعروف بالإمام الحلي، المولود ليلة الجمعة السابع والعشرين من رمضان من سنة ثمان وأربعين وستمائة، وقام بتقديم هذا الأثر رضا الصدر. وكتب الحلي عدة مؤلفات شملت الفقه وأصوله وعلم الحديث وعلم الكلام، كما كانت له مؤلفات في الحكمة والفلسفة والمنطق وفي النحو والعربية، وهذا الكتاب وضعه الإمام الحلي كما يقول: "خشية الله ورجاء لثوابه وطلباً للخلاص من أليم عقابه بكتمان الحق وترك إرشاد الخلق"<sup>7</sup>. وتبلغ عدد صفحات الكتاب تسعين وخمسمائة صفحة، ويستعرض فيه صاحبه أسس الدنيا وأحوال العقائد الإسلامية، ويحتوي مباحث ومسائل في علم الفقه وأصوله مما كان محل خلاف بين الفقهاء المسلمين. وينقسم هذا الكتاب إلى ثماني مسائل مهمة، في الإدراك - في النظر - في صفاته تعالى - في النبوة - في الإمامة - في المعاد - في أصول الفقه وفي ما يتعلّق بالفقه. وهذه المسائل احتوت على مباحث متعددة، ولكن ما يهمنا في بحثنا هذا المسألة الخامسة "الإمامة" التي سوف نتعمّق في مناقشتها.

<sup>6</sup> - الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 7

<sup>7</sup> - الإمام الحلي، نهج الحق وكشف الصدق، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص 38

## 2- المفاهيم الأساسية في هذا البحث

ارتأينا في هذا القسم من البحث الاهتمام بأهم المصطلحات التي تتعلق بهذا العمل، وهي مفاهيم: صورة، الإمام، الشيعة الاثنا عشرية، المعجزة، باعتبارها مفاهيم أساسية يجب أن نزيل الغموض عنها ونوضحها لغويًا واصطلاحياً بالاستناد إلى عدة مراجع أبرزها لسان العرب لابن منظور ودائرة المعارف الإسلامية باللسانين العربي والفرنسي.

### أ- الصورة: Image

إنّ تحديد ماهية الصورة تحديداً دقيقاً من الصعوبة بمكان، خاصّة أنّ هذا اللفظ متعدّد الدلالات ومتشعب المعاني، وقد ورد في لسان العرب لابن منظور مادة (ص.و.ر) "الصورة في الشكل والجمع صور، وقد صورّه فتصور وتصورت الشيء، توهمت صورته، فتصور لي والتصاوير التماثيل"<sup>8</sup>. فالصورة لدى ابن منظور مهتمة بالشكل أو الهيئات؛ فهي مرتبطة بالأشياء المادية المرئية، و"الصورة ترد في لسان العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته وصورة الفعل كذا وكذا أي صفته"<sup>9</sup>، ويمكن انطلاقاً من هذا التعريف أن نستخلص أنّ لكل شيء صورة، فلإنسان صورة خاصة به ذات شكل معين وحقيقة معينة، وللحيوان وللنبات هيئات وأشكال مختلفة. وهذا المفهوم اتخذ عدة تعاريف؛ فقد وقع الاهتمام به لدى الغربيين، فعرفه الشاعر الفرنسي "بيار ريفاردي Pierre Rivardi" (1889-1960)، وهو من المدرسة الرومانتيكية لفظة (صورة / Image) بأنها "إبداع ذهني صرف، وهي لا يمكن أن تنبثق من المقارنة، وإنما تنبثق من الجمع بين حقيقتين واقعتين تتفاوتان في البعد قلّة وكثرة، ولا يمكن إحداث صورة المقارنة بين حقيقتين واقعتين بعيدتين لم يدرك ما بينهما من علاقات سوى العقل"<sup>10</sup>. فهذه الكلمة تحمل دلالات متعددة، والصورة مفهوم له عدة دلالات، فنجد فن التصوير الذي يتمثل في إبراز الصورة إلى الخارج بشكل فني، فهو متمركز في مستوى شكلي، كما نجد التصوير في القرآن الكريم الذي يختلف عن التصوير الشكلي إذ هو تصوير شامل، "فهو تصوير باللون وتصوير بالحركة وتصوير بالتخيّل كما أنّه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون في التمثيل، وكما يشترك الوصف والحوار وجرس الكلمات ونغم العبارات وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور"<sup>11</sup>. ونجد الصورة في الشعر تلك التي يبينها الشاعر بخياله، ليخلق بها عالماً جميلاً يموج بالحركة

<sup>8</sup> - ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف القاهرة، مادة (ص.و.ر) ج 4، ص 2523

<sup>9</sup> - صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1988، ص 74

<sup>10</sup> - محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة ودار العودة، بيروت 1973، ص 74

<sup>11</sup> - صلاح عبد الفتاح، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص 33

والألوان، والجاحظ يرى أنّ الشعر ضرب من التصوير، كما وقع الاهتمام بالصورة البلاغية المعروفة من تشبيه واستعارة وكناية ومجاز، فقد توسّع مفهومها في العصر الحديث إلى حد أنه "أصبح يمثل كل الأدوات التعبيرية، مما تعودنا على دراسته ضمن علم البيان والبديع والمعاني والعروض والقافية والسرود وغيرها من وسائل التعبير الفني".<sup>12</sup> فللصورة إذن معانٍ متعددة، فهي مركّبة ومعقّدة ويستعصي على الدارس الوقوف عند مفهوم واحد لها، ولكننا في هذا الإطار سنهتم بالصورة الشكل *forme* وشبح *silhouette* "ومنها صورة الأرض وصورة الحمار أي شكله، وتعني أيضاً الوجه".<sup>13</sup> سيقع تركيزنا إذن، على صورة الشخص تلك التي تتشكل في أذهان الأشخاص انطلاقاً من معطيات متعدّدة يقف العالم المحسوس في مقدمتها خاصة أنّ أغلب الصور مستمدّة من الحواس.

### ب- إمام=<sup>14</sup>IMAM

جاء في لسان العرب لابن منظور مادة (أ.م.م) "أمّ القوم وأمّ بهم تقدّمهم، وهي الإمامة، والإمام كل من اتّم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين، وإمام كل شيء قيمه والمصلح له، ومعناه الأصل الرئيس وخاصة الدليل الذي يقود القافلة، ومنها كل شخص أو شيء يتخذ دليلاً وقدوة".<sup>15</sup> وقد اتخذت كلمة إمام معنى دينياً بحثاً، إذ ارتبطت بإمامة الصلاة في المسجد ولكل مسجد إمامه، ومن ذلك كان الرسول إمام المسلمين وقائدهم في حياته، وانتقلت بعد وفاته إلى الخلفاء الأربعة الراشدين. وقد مثلت الإمامة مشكلة أساسية في التاريخ الإسلامي، إذ هي موضوع رئيس في كتب التاريخ والأخلاق والتصوف، ويختلف هذا المفهوم بين الشيعة والسنة؛ فالإمام لدى أهل السنة مرتبط خصوصاً بالصلاة، وكان يطلق على أصحاب المذاهب الأربعة السنية اسم إمام، وهو العالم بأمر الدين والمصلح لشؤون العباد، ولكن هذا المفهوم لدى الشيعة يتخذ اتجاهاً مخالفاً، فالإمام بعد الرسول هو علي بن أبي طالب، ويجب أن يكون من بيت النبي، ولذلك فالإمامة لا تتعدّى ذرية علي وفاطمة، وكان علي بن أبي طالب هو الإمام الشرعي بعد موت الرسول. و"في نظر الشيعة علي هو أفضل الكائنات البشرية من رجال ونساء بعد النبي، وهو أمير المؤمنين الوحيد وما الآخرون سوى مغتصبين"<sup>16</sup>، وهذه النظرية في نظر الشيعة لم تولد من فراغ، فهي مستمدة من نص قرآني وأحاديث نبوية أهمها حادثة "غدير خم" والتي سنتناولها بالتحليل في موقع آخر من البحث، ولئن كانت مشكلة الإمام مشكلة سياسية

<sup>12</sup>- الوليّ محمد، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990، ص 10

<sup>13</sup>- J. Wensinek, "sura", EI2, tome 9, p 925

<sup>14</sup>- للتعقّب أكثر يمكن الرجوع إلى مقال (1192-1198)، (1198-1192)، W-Madelung, « imama » EI2, tome3, (1192-1198)

<sup>15</sup>- لسان العرب، ابن منظور، مادة (أ.م.م)، ص 133

<sup>16</sup>- هشام جعيط، الفتنة، دار الطليعة، بيروت، 1995، ط5، ص 310

بالأساس فإنها عند الشيعة مشكلة دينية، فهي أصل من أصول الدين، والإمام ليس مجرد رجل وقائد، إنه القطب الذي عليه يدور نظام المجتمع وحياته، فهو محور العالم. فالإمام حسب مفهوم الشيعة أساس العالم، ولو ظلت الأرض دون إمام لساخت بأهلها، والله خلق هذا العالم للإمامة، فالعالم إذن يعيش حالة استثنائية مؤقتة في حال غيبة الإمام، والأمور ليست على أحسن وجه بغيابه، لذلك هم بانتظار إمامهم الغائب "المهدي المنتظر"، فالتاريخ إذن يصبح تاريخاً بوجود الإمام، وبعدمه يعيش عصور ما قبل التاريخ. هكذا تبلور مفهوم الإمام لدى الشيعة خاصة أنهم أقرّوا بعصمته من كل الأخطاء والشوائب، فكان علي في نظرهم الأجدر بالإمامة، لأنه معصوم من هذه الأخطاء والهتات.

### ج- الشيعة الاثنا عشرية: Duodécimain

جاء في لسان العرب لابن منظور مادة (ش.ي.ع) "شيع الشيع مقدار من العدد كقولهم أقمت عنده شهراً أو شيع شهر، والشيعة القوم الذين يجتمعون على الأمر، وكل قوم اجتمعوا فهم شيعة، وكل قوم أمرهم واحد شيع بعضهم رأي بعض فهم شيع والشيعة الفرقة"<sup>17</sup> وهذا الاسم يطلق على فرقة من أكبر الفرق الإسلامية الذين بايعوا علياً وقالوا بإمامته، وتنقسم هذه الفرقة إلى عدة فرق أخرى، نذكر منها الإسماعيلية والزيدية التي تقترب في مقولاتها من مقولات أهل السنة. والإمامية أو الاثنا عشرية "فرع من الإسلام الشيعي، والذي يعتقد في سلسلة تتكون من اثني عشر إماماً تبدأ بعلي وتنتهي بمحمد المهدي"<sup>18</sup>، فهم الذين يقولون بوجود سلسلة متكونة من اثني عشر إماماً، وهم على التوالي:

علي المرتضى – الحسن المجتبي – الحسين الشهيد – علي زين العابدين السجاد- محمد الباقر – جعفر الصادق – موسى الكاظم – علي الرضا – محمد التقي – الحسن العسكري الزكي ومحمد المهدي الحجة الإمام الغائب الذي بعودته سُملاً الأرض عدلاً وإحساناً، ويتخذ الإمام الغائب في نظرهم صورة إيجابية، فهو الحق والإمام الهادي، ولا يخرج عن سلالة آل البيت من نسل علي وفاطمة. وهذه الفرقة لم تكن متفقة فيما بينها كثيراً، ويعتبر مذهب الاثني عشرية المذهب الرسمي في إيران بلاد فارس، ولهذا المذهب أهمية كبيرة إذ رأوا في الأئمة مقادير العالم، والخلص لا يتم إلا باتباعهم، والخروج عليهم مهلكة. ولهذا المذهب مجموعة من الشعائر والطقوس تتجلى خاصة في تقديس الأيام والساعات وزيارة القبور، وتمثل لديهم واجباً مقدساً فيه معروف كبير، وأهم مقولة تقوم عليها الشيعة الاثنا عشرية انتقال الإمامة من علي الرضا إلى ولده محمد التقي، وهذه النقطة محل اختلاف بين جميع فرق الشيعة الأخرى.

<sup>17</sup> - ابن منظور، لسان العرب، مادة (ش.ي.ع)، ص 2377

<sup>18</sup> - S.H.Naser, « ITHENA' ashariyya », EI2, tome VI, p289



## د- معجزة: Miracle

يعتبر هذا المفهوم من المفاهيم المهمة في بحثنا، خاصة أنه يتعلّق بشخص علي بن أبي طالب؛ ففي لسان العرب لابن منظور نقراً في مادة (ع.ج.ز) "العجز نقيض الحزم عن الأمر، يعجز عجزاً...وعاجز عن الشيء، والمعجزة واحدة معجزات الأنبياء عليهم السلام"<sup>19</sup>، والمعجزة تخصّ الأنبياء دون سواهم، إذ هي "الوسيلة الإلهية التي بها يفحم النبي مكذبيه"<sup>20</sup>.

والمعجزة ما يفوق الخيال، فهي أمر خارق للعادة مقرونة بالتحدي، ومن أهم الشروط التي تتوفر، لنقول إنّ هذه أو تلك معجزة أن يكون الحادث، مما لا يستطيعه الإنسان ولا يقدر عليه، ويكون هذا الحادث أو الفعل خارجاً عن قوانين الطبيعة مقروناً بقوى خارقة، قوى إلهية. وفي تاريخ الأديان كان كلّ نبي يحمل إلى قومه معجزة ليواجههم بها متحدياً بذلك من جاء قبله ومن سيأتي من بعده، هذه المعجزة تكون من الخارق للعادة لتكون دليلاً قطعي على أنه مرسل من الله، وقد بعث الله أنبياءه كلّاً منهم بلسان قومه، فكانت معجزة موسى العصا التي يلقبها فتتحول إلى حية تسعى تلقف كل شيء، إذ أرسله ليواجه سلطة السحر المميزة لعصره. وكانت معجزة عيسى إبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى، فأبهر قومه وأعجزهم عن أن يفعلوا فعله، وعندما رفعه الله إليه انقضت المعجزة. أما الرسول محمد، فكانت معجزته حلاوة الكلمة وقوة العبارة، بعثه الله بقرآن أعجز فصحاء العرب وشعراءهم جميعاً، فمعجزته تمثلت في القرآن "الكتاب الخالد"؛ فالمعجزة إذن ما يفوق قدرة البشر. ونجد الكرامة وهي من جنس المعجزات، والتي خصّ بها الله أوليائه، ومثّلت نوعاً من أنواع السيطرة الكاريزماتية (charisme)، فكانت الكرامة امتداداً للمعجزة واستمراراً لها بعد موت النبي، وفي نظر الشيعة أجرى الله على يد علي بن أبي طالب من الكرامات ما لا حدّ له، حتى دخل في باب المعجز والخارق للعادة، وسوف نتعرض إلى ذلك بتفصيل أكبر في القسم الأخير من البحث.

<sup>19</sup> - لسان العرب، ابن منظور، مادة (ع.ج.ز)، ج4، ص 2817

<sup>20</sup> - A.J. Wensink, "mo' djiza", EI2, tome 7, p 297

## الفصل الثاني: صورة عليّ في حياة الرسول

عرف علي بن أبي طالب في حياة الرسول من الاحترام والهيبة ما يفوق جميع الشخصيات الأخرى، وذلك راجع إلى مجموعة من الأحداث، وقد اهتّم كتاب "الإرشاد" بالإفصاح عنها.

### 1- صفاته

حظي علي بن أبي طالب بصفات جعلته يرقى بتفوق على أنداده، ويتميز عليهم، فهو أول هاشمي من أبوين هاشميين، وهذا ما جعله يحظى بشهرة هذه الأسرة التي اجتمعت فيها صفات الكرم والشجاعة والمروءة والذكاء، فكانت واحدة من أهم العائلات العربية في قريش، فتعلّى علي بخصالها، إذ نشأ رجلاً مكين البناني في شبابه محافظاً على قوته حتى ناهز الستين. فلم يعرف التاريخ الإسلامي بطلاً مثل علي بن أبي طالب في شجاعته وإقدامه، إذ تدلّ الأخبار المتواترة في الإرشاد ونهج الحق وغيره على القوة الجسدية البالغة التي يمتاز بها، فلا يبارز أحداً إلا قتله، ولا يصارع رجلاً من الرجال إلا صرعه، فكان شجاعاً لا ينهض أحد إلا هزمه، إذ كان صاحب صولة وصيت كبيرين، لا يخاف من الموت ولا يهاب قرناً من الأقران كبير أو صغر، كرّار في الحروب غير فرّار، وقد تأكّدت هذه القوّة والشجاعة خاصة في حياة الرسول، إذ شارك معه في كل فتوحاته وحروبه، "وكان علي صاحب لواء النبي في مشاهدته كلها أثناء القتال، وكان شجاعاً مقداماً جريئاً قوياً قوة غير معهودة في الرجال"<sup>21</sup>، وقد تحلّت شجاعته بأجمل صفات الشجعان الأقوياء، وهي التورّع عن البغي على الخصم سواء كان قوياً أو ضعيفاً، وسلامة الصدر من الضغن على العدو بعد الفراغ من قتله. ويقال إنه في حرب الجمل التي خاضها ضدّ عائشة وطلحة والزبير قام بعد انتهاء المعركة بدفن من قتلوا في تلك المعركة، وصلى عليهم، ثم بكى لأجلهم. وكثيرة هي صولات علي الحربية، إذ يقول الإمام الحليّ "وقد أجمع الناس كافة أنّ علياً - عليه السلام - كان أشجع الناس بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - وتعجب الملائكة من حملاته"<sup>22</sup>. فقد كان له دور بارز في عهد الرسول في الدفاع عن الدين الإسلامي وفي تشييد معالمه، "وإنما شيّدت مباني الدين وتنبّنت قواعده، وظهرت معالمه بسيف مولانا أمير المؤمنين، وتعجّبت الملائكة من شدّة بلائه في الحرب"<sup>23</sup>. وتحكي جلّ المصادر عن قوته وشهامته في غزوة أحد ودفاعه عن الرسول عندما أصيب والوقوف في وجه المشركين وحمايته من الأعداء، فكانت شجاعته وبلاؤه في الحرب يوم أحد ذات طابع أسطوري، إذ ورد في الإرشاد "مازلنا نسمع أصحاب الرسول يقولون نادى يوم أحد منادٍ من السماء لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا

<sup>21</sup>- طه حسين، علي هامش السيرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989، ج1، ص 346

<sup>22</sup>- الحليّ، نهج الحق وكشف الصدق، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص 244

<sup>23</sup>- الحليّ، نهج الحق وكشف الصدق، ص 248

علي<sup>24</sup> وفي غزوة بدر، وهي أول حرب خاضها المسلمون ضد الكفار، قتل علي فيها الناكثين والمارقين، وأبلى بلاء حسناً في حماية الإسلام والمسلمين، والدفاع عن رأيه، فقتل نصف المشركين، "ولم يزل يقتل واحداً منهم بعد واحد حتى أتى على شطر المقتولين منهم وكانوا سبعين رجلاً"<sup>25</sup>. وكثيرة هي الحروب التي خاضها علي في حياة الرسول فمن بدر إلى غزوة أحد إلى معركة الخندق فالأحزاب وحنين وصولاً إلى غزوة خيبر التي كان الفتح فيها لأمر المؤمنين، وتمّ على يديه انهزام الجيش واقتلعه باب خيبر الذي جعله جسراً على الخندق للمسلمين، والذي قال عنه: "والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانية، بل بقوة ربانية"<sup>26</sup>. فبطولات علي أجلّ من أن تحصى أو تعدّ، وسيرته في مجال الحرب أشهر من نار على علم، إذ نُعت بسيف الإسلام، وتباهى به شيعته، ورسموا له صورة خارقة في ميدان الحروب والمعارك. وفي هذا الإطار، يقول هشام جعيط: "إنّ البويهيين الذين كانوا شيعيين – وكذلك السلاجقة – الذين كانوا سنيين (كذا) كانوا مزخرفين سيوفهم بصورة علي تلك الصورة الخيالية التي مازالت متناقلة حتى أيامنا في الرسم تحت الزجاج"<sup>27</sup>. لذلك، ظلّت وستلّ صورة علي المحارب المقدم الشجاع مضرب الأمثال على مرّ العصور، وسيف الإسلام الأول الذي به انتشر الإسلام فشرق وغرب، تلك الصورة البطولية التي نجدها متجذرة بصفة خاصة في حياة الرسول وأيام حروبه. إلى جانب هذه الشجاعة التي عرف بها كانت مروءته الأندر بين ذوي المروءة. ويعتبر علي بن أبي طالب من أوائل الذين آمنوا برسالة النبي محمد، إذ جاء في السيرة لطفه حسين "أسلم علي وهو ابن تسع سنين أو ابن عشر سنين... وهو لم يعقل الأوثان قط، دخل في الإسلام قبل أن يعقلها، فامتاز بين السابقين الأولين بأنه نشأ نشأة إسلامية خالصة"<sup>28</sup>. وأغلب النصوص التاريخية تؤكد على هذا الإسلام المبكر، يقول الشيخ المفيد في إرشاده "وهو أول ذكر آمن بالله وبرسوله من أهل البيت والأصحاب، وأول من دعاه النبي (ص) إلى الإسلام فأجاب، ولم يزل ينصر الدين ويجاهد المشركين ويذبّ عن الإيمان، ويقتل أهل الزيغ والطغيان، وينشر معالم السنّة والقرآن، ويحكم بالعدل، ويأمر بالإحسان"<sup>29</sup>. فهذه الخصلة جعلته يحظى بمكانة مرموقة لدى شيعته، إذ رأى الشيعة أنّه الإمام بعد الرسول، "أول أئمة المؤمنين وولاة المسلمين وخلفاء الله تعالى في الدين بعد رسول الله الصادق الأمين محمد بن عبد الله خاتم النبيين"<sup>30</sup>. فحادثة إسلامه المبكر وسمته بصيغة خاصة جعلته يدخل التاريخ من بابه الكبير بعد الرسول خلافاً للصحابة الآخرين، فشخصيته اجتمعت فيها خصال الأسوة الحسنة

<sup>24</sup>- الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 62

<sup>25</sup>- م ن، ص 52

<sup>26</sup>- الحلي، نهج الحق وكشف الصدق، ص 250

<sup>27</sup>- هشام جعيط، الفتنة، ص 311

<sup>28</sup>- طه حسين، علي هامش السيرة، ص 346

<sup>29</sup>- الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 15

<sup>30</sup>- م ن، ص 14

والمروءة والشجاعة إلى جانب العامل القبلي الذي كان له دور مهم في سيرته أيضاً، ونقصد قرابته من الرسول، فقد كان "ابن عم الرسول وزوج ابنته"<sup>31</sup>، لذلك يعد علي وذريته بحكم انتسابهم إلى بيت النبوة وعترة رسول الله أفضل خلق الله على الإطلاق في حياة الرسول، وتعدّ منزلتهم أرفع المنازل.

إذن، تضافرت ميزات خاصة جعلت من شخصية علي فوق التاريخ؛ فالحكم المأثورة التي عرف بها والشجاعة والحكمة والمعرفة الواسعة بشؤون الدين والدنيا رسمت له شخصية مميّزة مفرطة في المثالية. هذه الصفات وغيرها كان لها دور مهم في رسم الصورة التي نشأت لدى الشيعة، تلك الصورة التي رفعوها إلى حدّ التقديس.

## 2- علاقته بالرسول

بحكم روابط الدم التي تجمع بين الرسول محمد وعلي بن أبي طالب وأواصر المصاهرة التي تمت بينهما كان علي من أكثر المقربين إلى الرسول، فقد نشأ في بيته وزوجه ابنته فاطمة وهو أخوه في الهجرة، يقول الشيخ المفيد في هذا الإطار إنه "أخوه وابن عمه ووزيره علي أمره وصهره علي ابنته فاطمة البتول سيدة نساء العالمين"<sup>32</sup>. هذه القرابة جعلت من علي بن أبي طالب مقرباً من الرسول في كافة شؤونه الدينية والدينية، إذ اشترك معه في كل فتوحاته، وكان صاحب اللواء في حروبه، كما كان حاميه من أعدائه، فنزله الرسول منزلة مرموقة، إذ جاء في الإرشاد "أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي"<sup>33</sup>. فكانت أواصر القرابة وروابط الدم التي جمعت بينهما قوية، وهو ما دفع بعلي إلى تعريض نفسه للخطر من أجل نجاة الرسول، إذ تحكي كتب السيرة والتاريخ الشيعية أنه نام في فراش الرسول ليلة الهجرة عندما انتمرت قريش على قتل النبي "فوهب أمير المؤمنين (عليه السلام) نفسه لله تعالى، وشراها من الله تعالى في طاعته، وبذلها دون نبيه، لينجو به من كيد الأعداء... فبات (عليه السلام) على فراش رسول الله (ص) متسترّاً بإبرازه"<sup>34</sup>. وهذه الحادثة أشهر من أن تروى، وهذا إن دلّ على شيء، فإنما يدلّ على الرابط القوي الذي جمع بينهما، والذي يتعدى القرابة إلى رابط روحي غيبي ومفارق، وقد كان علي أقرب قرابته، إلى جانب أنّ الرسول كان معلّمه ومرشده، فقد حفظ القرآن على لسانه، وتعلّم منه الحكم والمواظب ومعرفة شؤون الدين والدنيا، إذ جاء في الإرشاد "استدعى رسول الله (ص) علياً - عليه السلام - فخلا به، فلمّا خرج سأله ما الذي عهد إليك فقال علّمني ألف باب من

<sup>31</sup>- L.Veccia Vaglieri, « Ali B Abi Taleb », EI2, tome 1, p 392

<sup>32</sup>- الإرشاد، ص 14

<sup>33</sup>- م. ن، ص 16

<sup>34</sup>- م. ن، ص 42

العلم وفتح لي في كل باب ألف باب".<sup>35</sup> وقد كان علي محل ثقة الرسول، إذ استخلفه في أهله عندما خرج لغزوة تبوك، وكان الرسول لا يأمن على المدينة إلا وعليّ فيها، ويظهر ذلك في قول الرسول: "يا عليّ إنّ المدينة لا تصلح إلاّ بي أو بك"<sup>36</sup>، كما آمنه على الودائع وردّها إلى أصحابها عندما قرر الهجرة اتقاء لشر قريش، وكان الرسول مؤتمناً على ودائع الناس، فلم يجد من ينوب عنه في ذلك إلاّ علياً الذي كان محل ثقة دائمة من الرسول "لم يجد في قومه وأهله من يأمنه على ما كان مؤتمناً عليه سوى أمير المؤمنين عليه السلام، فاستخلفه في ردّ الودائع إلى أربابها".<sup>37</sup>

كان علي مبعّلاً من طرف الرسول، إذ كثيراً ما كان ينهى الناس عن بغضه، ويتجلّى هذا في نهى بريدة عن بغضه "إنّ علياً بن أبي طالب خير الناس لك ولقومك وخير من أخلف بعدي لكافة أمتي، يا بريدة احذر أن تبغض علياً يبغضك الله".<sup>38</sup> فعلاقة علي بالرسول تزخر بها كتب السيرة وتنوّه بها. ويكشف لنا الإمام الحلي هذه العلاقة المترسّخة في مجموعة من الأحاديث أهمّها حديث المؤاخاة، فعندما آخى الرسول بين صحابته لم يبق إلاّ علي فأخاه لنفسه. أيضاً حديث قراءة سورة براءة، من ذلك أنّ الرسول بعث بأبي بكر إلى أهل مكة لتبليغ هذه الآية، ولكنه تراجع وبعث بعلي، وعندما سأله أبو بكر عن ذلك قال الرسول: "لكن جبرائيل جاءني وقال لا يؤدي عنك إلاّ أنت أو رجل منك"<sup>39</sup>، وهذه الحادثة سيكون لها أثر عميق في اعتبار علي الإمام الشرعي والوحيد بعد الرسول لدى أتباعه. فالشيعة يعتبرون الإمام علياً أقرب قرابة الرسول، وأنّ الرسول أول من نوّه بفضله ومن ذلك أقر بأحقّيته في الخلافة بنص ديني صريح.

## الفصل الثالث: صورة عليّ في خلافة الثلاثة

بعد موت الرسول، كان السؤال المهمّ: من الخليفة لرسول الله؟ ومن هو الجدير بالخلافة؟ فكان الخوف من اندثار ما خلفه النبي من دين مكتمل ودولة إسلامية قويّة هو القادح الأساسي لاختيار الخليفة، فاشترّبت الأعناق حول الخليفة الجديد، وتم تعيين أبي بكر في مرحلة أولى الذي تلاه عمر ثم عثمان، وقد دام حكمه اثنتي عشرة سنة. وبعدها، جاء عصر الإمام علي الخليفة الشرعي المضطهد والمبعد عن سدّة الحكم ظلماً في نظر شيعته. وفي اجتماع السقيفة يوم تمّ اختيار الخليفة أشارت أغلب المصادر إلى أنّ علياً لم يحضر اجتماع السقيفة، لأنه

<sup>35</sup>- م.ن، ص 32

<sup>36</sup>- م.ن، ص 105

<sup>37</sup>- م.ن، ص 32

<sup>38</sup>- الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 109

<sup>39</sup>- الحلي، نهج الحقّ وكشف الصدق، ص 215

كان مشغولاً بوفاة الرسول. يقول هشام جعيط: "زد على ذلك أنّ ممّاله دلالة كون أفراد بيت النبي لم يحضروا، ولم يدعوا إلى اجتماع السقيفة الذي التأم خلصة بعيداً عن البطون القريبة"<sup>40</sup>، في هذا الإطار أي بعد موت الرسول نشأت فكرة أحقية علي بالخلافة، وأنّه الإمام الشرعي بعد الرسول في نظر الشيعة استناداً إلى مجموعة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

### 1- أحقيته بالخلافة

طرحت وفاة النبي مشكلة خطيرة هي مسألة الإمامة بعده، ومسألة الحفاظ على ما أنجزه من دين ودولة، فنشأ الكلام على الإمام الخليفة وأحقيته بالخلافة ومن هو الجدير بخلافة رسول الله. وأكدت النصوص أنّ الإمام علياً هو الإمام الشرعي بعد موت الرسول محمد، وأنّ هذه الشرعية تعود إلى عدّة عوامل أولها العامل القبلي والسابقة في الإسلام، فعلي كان رجلاً من بيت النبوة ومن عترة رسول الله؛ أي كان من بيت قريش الديني والقيادي، قريش القبيلة التي كانت تعدّ بقيمتها الدينية الممتازة؛ أي أنّ علياً كان مؤهلاً أكثر من غيره للكلام في موضوعي الدين والسياسة، وكان مؤهلاً أكثر من غيره لإمامة الرسول، ومكانته تعود إلى نسبه تحديداً إذ يقول الأستاذ هشام جعيط: "كان علي يرى أنه الأجدر بالخلافة نظراً لقرابته القريبة من النبي"<sup>41</sup>، وقد كان مؤهلاً لهذه الخلافة، لأنه كان محل ثقة دائمة من عترة آل البيت، وكان يرمز إلى روابط الدم القريبة من الرسول، وكان جديراً بهذه الإمامة، وذلك عائد إلى شخصه خصوصاً إذ "كانت شخصية علي ذاتها تفرض الاحترام وتجذب الولاءات إليها من حيث صيته الإسلامي ومن حيث استقامته"<sup>42</sup>، ولكن هذه الشرعية في الخلافة، والتي يقرّ بها أهل الشيعة مستمدة من نص قرآني ومن أحاديث نبوية. إذ يستند الشيعة في تأويلهم لأحقية علي بالخلافة إلى مدلول عقلي، من ذلك أنّ الإمام بعد الرسول هو علي بن أبي طالب مستندين في ذلك إلى أنّه كان معصوماً من الخطأ "الإمام يجب أن يكون معصوماً من الخطأ وغير علي لم يكن معصوماً بالإجماع فتعيّن أن يكون هو"<sup>43</sup>، وإلى جانب هذا يستندون في أحقية إمامته إلى حادثة إسلامه المبكر، إذ لم يعرف علي عبادة الأصنام، كما أنّ الصفات التي تميّز بها من زهد وعلم وعبادة وشجاعة وإيمان قوي كانت ميزات تفرّ أحقيته في الخلافة. ويذكر الإمام الحلي أنّ "الإمام يجب أن يكون منصوباً عليه وغير علي من الثلاثة ليس منصوباً عليه"<sup>44</sup>، وقد عدّد في ذكر الآيات التي نزلت في علي وفي أحقيته بالخلافة، والتي ناهزت أربعاً وثمانين آية ولا يتسع

<sup>40</sup> - هشام جعيط، الفتنة، ص 37

<sup>41</sup> - م. ن، ص 57

<sup>42</sup> - هشام جعيط، الفتنة، ص 192

<sup>43</sup> - الحلي، نهج الحق وكشف الصدق، ص 171

<sup>44</sup> - م. ن، ص 171

المقام لذكرها جميعاً، لكننا سنركز على أبرزها والمتمثلة في آية التطهير "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً"<sup>45</sup>، والتي يؤكد الحلي وغيره أنها نزلت في آل البيت علي وفاطمة والحسن والحسين وأكدت عصمة علي وذريته من الأخطاء وأحقّيته في الخلافة، وهذه الأحقية تجذرت أكثر في قول الرسول استناداً إلى الآية "أَنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي"<sup>46</sup> "انتهت الدعوى إليّ وإلى علي، لم يسجد أحدنا قط لصنم فاتخذني نبياً واتخذ علياً وصياً"<sup>47</sup> فكان المعجز في سيرة علي أحقيته بالخلافة استناداً إلى آيات قرآنية صريحة، إلى جانب ذلك فالشيعة يستندون في أحقية علي بالخلافة إلى حوادث أهمها غزوة تبوك وقضية إرسال سورة البراءة بواسطة علي وقول الرسول "ألا ترى في أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى"<sup>48</sup>، وهم يرون في هذا القول إعلاناً صريحاً من النبي بأن علياً سيكون خليفته. والحدث الأبرز قضية غدیر خم التي ذكرها الشيخ المفيد في إرشاده والإمام الحلي في نهجه، والتي يقول عنها هشام جعيط "أما قضية غدیر خم، فهي الأهم بين القضايا لأنها هي التي يركز الشيعة عليها في مفهوم الوصية؛ أي كون النبي قد أوصى لصالح علي حتى يكون خليفة، ويذكر بأمر من الله... رفع يد علي علناً قائلاً للحضور: اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه"<sup>49</sup> فعلى هذه الأحاديث وغيرها، انبنت أحقية علي بالخلافة واستمدّ شرعيته، وتشكّلت صورة الإمام الخليفة صورة علي بن أبي طالب لدى الشيعة. يقول الأستاذ محمد بوهلال: "إنّ الإمام حسب الرؤية الشيعية ليس مجرد قائد سياسي أو زعيم ديني، بل هو حقيقة كونية نورانية متعالية من دونها لا يستمر نظام العالم، وهذه المكانة تثبتها الأخبار المتواترة عند الشيعة، وفيها ينصّ النبي على فضلهم الديني وإمامتهم وعصمتهم، وتدعمها تأويلات علماء الشيعة لكثير من الآيات القرآنية التي يعتقدون أنها نزلت في الأنمة"<sup>50</sup> فأحقّية علي بالإمامة مثبتة بموجب نص قرآني وأحاديث نبوية، وقد أقرت هذه الشرعية في إمامته نظراً لخصاله، إذ يقول الشيخ المفيد في الإرشاد: "إنّه كان الخليفة بعد رسول الله (ص) والإمام لفضله على كافة الأنام بما اجتمع له من خصال الفضل والرأي والكمال من سبقه الجماعة إلى الإيمان والتبريز عليهم في العلم بالأحكام والتقدّم لهم في الجهاد والبيئونة منهم بالغاية في الورع وفي الزهد والصلاح واختصاصه من النبي (ص) في القربى بما لم يشركه فيه أحد من ذوي الأرحام"<sup>51</sup> من هذا المنظور الشيعي

<sup>45</sup>- الأحزاب، الآية 33

<sup>46</sup>- البقرة، الآية 123

<sup>47</sup>- الحلي، نهج الحق وكشف الصدق، ص 180

<sup>48</sup>- الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 15

<sup>49</sup>- هشام جعيط، الفتنة، ص 304

<sup>50</sup>- محمد بو هلال، العقدي والمعرفي في علم الكلام، ص 234

<sup>51</sup>- الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 15

ومن هذه الزاوية، كان لعلي بن أبي طالب الأحقية في الإمامة بعد وفاة الرسول استناداً في ذلك إلى نص قرآني جلي وأحاديث نبوية متنوعة.

## 2- خلافة أبي بكر

تمت البيعة لأبي بكر، وهذه البيعة كانت ناجحة بفضل تدخل عمر بن الخطاب فيها، فهما "يتكاملان بشكل رائع وشكلاً ثنائياً لا يقبل الانفكاك"<sup>52</sup> على حد تعبير هشام جعيط، وتمكّن من كسب الشرعية على خلافته وبالرغم من أنّ علياً حسب ما ورد في كتب المؤرخين لم يقبل البيعة في البداية، وقامت من جرّاء ذلك عدّة صدامات بين آل بني طالب وخاصة فاطمة الزهراء وبين أبي بكر عندما طالبت بحقها في ميراث أبيها، ولكن أبا بكر نهرها بقوله لرسول الله: نحن معشر الأنبياء لا نورث. وقد أشار الشيخ المفيد إلى أنّ هذه العلاقة كانت متأزّمة في قوله "وأصبحت فاطمة تنادي وا سوء صباحاه، فسمعها أبو بكر فقال لها إنّ صباحك لصباح سوء"<sup>53</sup>، فبعد موت الرسول حسب التصور الشيعي اضطهد جميع آل البيت، وخاصة عليّ وعائلته، وبالرغم من ذلك، فإنّ علياً بايع أبا بكر لأنّ خطر الردّة كان يجتاح رسالة محمد، فساير القوم "ليبقى الإسلام في طريقه ويبقى محمد رسول عقيدة في القلوب وترانيم على الألسن تردها الملايين في أوقات الصلاة صباحاً ومساءً في كل الأزمان"<sup>54</sup>. وقد التزم علي شديد الالتزام باحترام بيعة أبي بكر، فلم يقم بأي تأليب ضده، بل كان له الناصح والمرشد والمساعد في أمور كثيرة، "وظلّ خلال حروب الردّة الناصح الأمين للخليفة والمعين له في الشدائد والمعضلات وقنع من الدنيا بتفقيه الناس والقضاء بينهم بحكم الله"<sup>55</sup>. وهذا إن دلّ على شيء، فإنما يدلّ على المروءة والشهامة التي تميّز بها علي عن غيره، من هنا ارتسمت تلك الصورة المميّزة التي حاكتها كتب التاريخ وقدّستها الشعوب؛ فقد كان علي بن أبي طالب مرجعاً فقهياً وقضائياً وسياسياً مهما بالنسبة إلى أبي بكر وغيره من الصحابة الآخرين، "وجميع الصحابة رجعوا إليه في الأحكام واستفادوا منه"<sup>56</sup>. فالبرغم من أنّ أبا بكر كان من الصحابة المقرّبين من الرسول وأخذ عنه الحديث والفقّه إلا أنه كان يجهل العديد من المسائل والقضايا، وكان لا يفتي في مسألة إلا بالرجوع إلى الإمام علي، فكان مستنده الأول ومرجعه الأساسي ومن ذلك واقعة شرب الخمر التي ذكرها الشيخ المفيد في إرشاده "أنّ رجلاً رفع إلى أبي بكر وقد شرب الخمر فأراد أن يقيم عليه الحدّ فقال له شربتها ولا علم لي بتحريمها، لأنّي نشأت بين قوم يستحلّونها...فارتجّ على أبي بكر الأمر

<sup>52</sup> - هشام جعيط، الفتنة، ص 37

<sup>53</sup> - الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 128

<sup>54</sup> - هشام معروف الحسيني، سيرة الأئمة الاثني عشر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، 1982، ص 320

<sup>55</sup> - م.ن، ص 320

<sup>56</sup> - م.ن، ص 321



بالحكم عليه، ولم يعلم وجه القضاء فيه فأشار عليه بعض من حضر أن يستخبر أمير المؤمنين... فاستتابه وخلق سبيله، وسلم لعلي عليه السلام في القضاء به".<sup>57</sup> ومن خلال هذا الرأي، نستشف المعرفة الواسعة له بأمر الدين والدولة وإطلاعه المتميز على القرآن والسنة، فكان لا يجتهد إلا وأصاب، ويعود الفضل في ذلك إلى تعلّمه على يد الرسول خاصة أنه فتح له ألف باب من العلم في كل باب ألف باب، فمثّل بذلك مرجعاً فقهياً يعتدّ به، وكان على دراية كبيرة بتفسير القرآن، فعندما جهل أبو بكر ألفاظ القرآن أرشده وعلمه معانيها، كما كان يتميز بحكم شخصيته ومكانته في قريش برحابة صدر عالية في إرشاد الناس، وتفقيهم خلافاً لأبي بكر الذي التجأ إليه أحد أحبار اليهود ليسأله، فنهزه وطرده من مجلسه، ولكنّه وجد ضالته عند علي بن أبي طالب، فأجابه عن سؤاله فقال فيه: "أشهد أنّ هذا هو الحقّ وأنك أحقّ بمقام نبيك ممن استولى عليه".<sup>58</sup> فبالرغم من أن علياً لم يكن موافقاً على بيعته أبي بكر واعترف به بعد مدّة من الزمن، إلا أنّه كان شديد الاحترام لخلافته، وساعده في العديد من المسائل التي أشكلت عليه، ويذكر المؤرخون أنه طوال خلافة أبي بكر لم يشغل علي بن أبي طالب أي منصب سياسي، بل كان يلتزم الحياد ويرعى المدينة "فإذا أحسّ بخطر غزو الأعراب والوثنيين للمدينة يحمل سيفه على عاتقه ويخرج إلى ضواحي المدينة في جوف الليل، ليصدّها عنها الغزاة".<sup>59</sup> فرغم عدم مشاركة علي في بيعته الخليفة الأول، إلا أنه قام بدور متميز في خلافته إذ استشاره في الكثير من القضايا، لذلك بقيت سياسته في عهده مضرب الأمثال.

### 3- خلافة عمر

لم يكن عليّ يترقب شيئاً من أبي بكر أثناء حياته كأن يوصي له بالخلافة مثلاً أو شيئاً من هذا القبيل، بل كان يعلم أنّه سيوصي بها لعمر بن الخطاب، خاصة أنّ ما كان يجمع بينهما من أواصر قويّة جداً، فقد تمتّ البيعة لعمر بن الخطاب، وأبعد علي مرة أخرى عن سدّة الحكم، وينقل جلّ المؤرّخين أنّ علياً لم يقف موقف المعارضة لخلافته، أو بدا منه ما يسيء إلى حكمه أو شخصه، بل يتكلم عنه بلسان صدق ويمنحه النصيحة ويزوّده بالحكمة "ولا ينطق إلا بلسان البررة الأطهار يمنحه النصيحة ويزوّده برأيه كلما أشكل عليه أمر من الأمور"<sup>60</sup>، وعديدة هي المسائل التي أشكلت على عمر بن الخطاب، وخاصة في مسائل الشريعة والقضاء كالزنا والخمر وغيرهما، يذكر من ذلك على سبيل الاختصار قصّة المرأة الزانية التي ذكرها الشيخ المفيد بقوله: "وروي أنّه أتى بحامل قد زنت فأمر برجمها، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام هب أنّ لك سبيلاً

<sup>57</sup>- الحلي، نهج الحق وكشف الصدق، ص 239

<sup>58</sup>- الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 137

<sup>59</sup>- هاشم معروف الحسيني، سيرة الأئمة الاثني عشر، ص 321

<sup>60</sup>- هاشم معروف الحسيني، سيرة الأئمة الاثني عشر، ص 333

عليها؛ أي سبيل لك على ما في بطنها؟ والله تعالى يقول: "ولا تزر وازرة وزر أخرى... ثم قال فما أصنع بها، قال احتط عليها حتى تلد فما إن ولدت ووجدت لولدها من يكفله فأقم عليها الحد، فسري بذلك عن عمر وعول الحكم به على أمير المؤمنين عليه السلام".<sup>61</sup> فكان عمر يأخذ برأيه ويحترم أقواله ويقف عليها في التشريع والقضاء وفي كل ما يعسر عليه، وكان دائماً يقول: "لا عشت لمعضلة لا يكون لها أبو الحسن"<sup>62</sup> و"لولا علي لهلك عمر".<sup>63</sup> هذه الأقوال لم تنشأ من فراغ، بل ولدت من جراء مسائل وقضايا عسرت على عمر بن الخطاب فلم يجد لها حلاً إلا لدى الإمام علي، فقد كان يردّه عن الخطأ وينصح إلى ما فيه صلاح أمور الدنيا والدين، وساهم أمير المؤمنين بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في الحياة العامة وفي تسيير شؤون الناس ما أمكن أن يفعله، وساهم في تعليم العامة وتفتيهم، والقضاء بالعدل بينهم على نطاق واسع مما كان له في عهد أبي بكر. وقد كان عمر، رغم قسوته المعروفة لا يجد مناسبة إلا ويذكر فيها أهمية علي بن أبي طالب الذي كان وما يزال مضرب الأمثال في معنى القضاء وصواب الرأي وإرشاد القوم إلى ما يصلح لهم، فلم يكن من الخطائين بل كان كثير الصواب، يقول الشيخ المفيد: "تأملوا التوفيق الذي قرن الله به أمير المؤمنين عليه السلام في الأحوال كلها وفزع القوم إليه في المعضل من الأمور وأضيفوا إلى ذلك ما أثبتناه عنه من القضاء في الدين الذي أعجز متقدمي القوم حتى اضطروا في علمه إليه تجدوه من باب المعجز".<sup>64</sup> فقد مثل الإمام علي بن أبي طالب بذلك المرجع الأول والأخير لعمر بن الخطاب في كل ما يستعصي عليه من مشكلات الأمور فيما يتعلّق بأمر الدنيا والدين.

#### 4- خلافة عثمان

قتل عمر بن الخطاب بخنجر أبي لؤلؤة بعد عشر سنوات من ولايته عن عمر ناهز ثلاثة وستين عاماً، وعند موته لم يعين الخليفة بعده، بل جعلها شورى بين ستة نفر من قريش ومن صحابة الرسول، وقد مات الرسول وهو عنهم راضٍ، وهم علي بن أبي طالب، عثمان بن عفان، سعد بن أبي وقاص، الزبير بن العوام، طلحة بن عبد الله وعبد الرحمن بن عوف و"كان علي يرى أنه الأجدر بالخلافة نظراً لقربته القريبة من النبي".<sup>65</sup> ولكن بطريقة أو بأخرى تمت البيعة لعثمان على الرغم من أنّ علياً أولى الناس بها، ودامت خلافته اثنتي عشرة سنة، ورغم اعتراض علي على هذه البيعة التي يورد المؤرخون الشيعة أنّها كانت بيعة مصالح

<sup>61</sup> - الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 138

<sup>62</sup> - من، ص 138

<sup>63</sup> - الحلي، نهج الحق وكشف الصدق، ص 240

<sup>64</sup> - الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 142

<sup>65</sup> - هشام جعيط، الفتنة، ص 57

وأطماع، إلا أنه سلّم لعثمان وبايعه مثلما بايعه بقية الناس، ولم يثر ضده، ولا قلل من قيمة خلافته، إنما سعى إلى الحفاظ على مصالح الدين وخدمة شؤون الناس والسير إلى إعطاء صورة مثلى عن الدين الإسلامي، ومضى في السبيل الذي اختاره لنفسه يعمل ما وسعه العمل في سبيل الصالح العام لا يبخل عليهم بأرائه ولا بكل إمكانياته إذا أرادوها في سبيل الإسلام وانتشاره كما سلّم وسائر ونصح من كان قبله".<sup>66</sup> وكم هي كثيرة القضايا التي استشار فيها عثمان بن عفان علياً بن أبي طالب وأرشده إلى الصلاح فيها، وقد ذكر الشيخ المفيد عدداً منها في الزنا والحلال والحرام ومسائل الشريعة وغيرها، ولقارئ التاريخ أن يدرس خلافة عثمان وما عرفت به من تغليب المصالح الشخصية على حساب مصالح الأمة، فعند اعتلاء عثمان الحكم استأثر بالأموال لنفسه وجمع خيرات البلاد ووهبها لبني أمية، وولى أقرباءه على مصر والشام والعراق وغيرها، فأثارت هذه التصرفات غضب المهاجرين والأنصار، وطالبوا بعزله، وتأمروا على قتله، فكانت الثورة على عثمان إذ حاصروا منزله، فتقاعس صحابته عن حمايته إلا علياً الذي لم يتهاون في الدفاع عنه وتقديم المعونة له. يقول هشام جعيط: "سيرسل علي ولده البكر للدفاع عن داره في وجه المهاجمين كما أنه سيرسل قِرب الماء إلى الخليفة المعطش".<sup>67</sup> تظهر إذن، صورة علي التي تزخر بالشهامة والمروءة في هذا الموقف وفي غيره من المواقف. وتتجلى لنا صورة الإمام في عهد الخلفاء الثلاثة صورة المحكم المفوّه والمنافح عن حدود الدين الذي عندما يسأل يجيب بلا تردد، وعندما يستشار بكل ما له من معرفة وعلم يؤتمن على ذلك، فكان الناصح الأمين الذي يضرب بجذوره في تأسيس الوحدة الإسلامية والطاعة والاحترام. هذه هي الصورة التي رسمها الشيعة لعلي في عهد الخلفاء الذين كانوا عاجزين من دونه عن تسيير أمورهم، متجاهلين بذلك صورة الخلفاء الثلاثة الذين في عهدهم اكتمل الإسلام وأشع في الجزيرة العربية، فلولا أبو بكر لاندثر الإسلام من خلال عامل الردّة، فقد قاوم أكبر فتنة "حرب الردّة" التي اندلعت بموت الرسول. ومع عمر توسّع الإسلام في المشرق والمغرب. وقد عرف عهده بالعدل والاستقامة، فمثل بذلك شخصية عادلة لم يعرف التاريخ مثله، أما عثمان ففي عهده جمع القرآن واحتفظ به وصانته من التحريف، فهم صحابة أجلاء ومآثرهم لا تحصى ولا تعد وسيرتهم تحفل بذلك.

<sup>66</sup> - هاشم معروف الحسني، سيرة الأنمة الاثني عشر، ص 340

<sup>67</sup> - هشام جعيط، الفتنة، ص 116

## الفصل الرابع: صورة علي زمن خلافته

لقد كان جلّ المسلمين ينظرون بلهفة إلى ما وراء تلك الأحداث، ومن هو الخليفة بعد عثمان بن عفان، فكان عليّ محطّ أنظار الجميع، وإليه تتجه الجماهير في المدينة وخارجها، فولّى بحسب اعتقاد الشيعة زمن الظلم والقهر والاستبداد، وجاء زمن الإمامة الشرعية والخلافة الحقّة المستمدة من الله، وارتفع علي إلى سدة الحكم، "لقد ارتفع علي إلى سدة الحكم لأنه كان رجل الأقدمية الإسلامية الرفيعة"<sup>68</sup>. فتمتّ بذلك البيعة له واعترف له من قبل المهاجرين والأنصار بأنه الخليفة الشرعي رغم اعتراض البعض، فجند كل إمكانياته لإصلاح ما أفسده نظام عثمان وحاشيته في شؤون الدولة، فعزل الولاة الفاسدين، واستبدلهم بولاة آخرين يمثلون العدل والاستقامة، فتجسّدت فيه كل صفات الإمام المثالي. فقد كان الخليفة يعرف كيف يفرض طاعته بمثاليته العالية وبعلمه وبحنكته السياسية فأرسى نظاماً خلافاً متميزاً، فكان الراعي الأمين الذي لا شاغل له إلا رعيته فلم يكن يميز عائلته وأقرباءه أو أصدقاءه بشيء من الصدقات أو الهدايا، وكان هو نفسه لا يطلب شيئاً ولا يفرض أيّ مال أو ملك لنفسه، لقد زهد بهذه الدنيا وطلّقها ثلاثاً وأهاب بها أن تغرّه. زمجر في وجهها ووجه شهوراتها، يقول الإمام الحليّ: "ما رأيت في الدنيا أزهّد من علي بن أبي طالب كان قوته الشعير غير المأدوم ولم يشبع من البرّ ثلاثة أيام"<sup>69</sup>. فكانت نظرته صادقة إلى الحياة ولا عجب أن يمتلئ قلبه بالعطف على الناس، وسعى إلى مساعدة الفقراء، وعدم خزن المال لنفسه أو لأهله. كما كان يضع نفسه في تصرف المؤمنين، فيصغي إلى شكواهم ومشاكلهم، ويصلح ذات بينهم حتى صارت صورته أسطورية، إذ أعطى صورة عن السيادة والاهتمام المفرط بأموال الأمة وممتلكاتها، فمثل النزاهة التامة والعدل المفرط والكرم الخلاق، إذ كان أسخى الناس يتصدّق بجميع ماله وكان أعبد الناس وأكثرهم تقوى، "وبلغ في العبادة أنّه كان أعبد الناس ومنه تعلم الناس صلاة اللّيل والأدعية المأثورة والمناجاة في الأوقات الشريفة والأماكن المقدّسة"<sup>70</sup>.

كل هذه الصفات التي تميّز بها ارتفعت به إلى أن يفرض نفسه على الجميع ليس بمنطق القوّة، بل بما كرّسه من قيم العدل والديمقراطية والاستقامة، فأسهّم إسهاماً فعّالاً في ترسيخ المثل الإسلامية الرفيعة التي كانت في عهد الرسول، فجعل الإسلام في عصره ساحراً وخبلاً سائراً في ذلك على نهج النبي محمد، وبالرغم من ذلك فإن شرارة الفتن والحروب الأولى التي عرفها المسلمون فيما بينهم معركة الجمل ومعركة صفين كانت

<sup>68</sup> - هشام جعيط، الفتنة، ص 181

<sup>69</sup> - الحليّ، نهج الحق وكشف الصدق، ص 245

<sup>70</sup> - م. ن، ص 247

زمن خلافة الإمام علي الذي كثيراً ما سعى إلى تجاوزها وصدّها بالكلمة الطيبة والحكمة الباهرة والخطابة المميزة، ولكنه كان يرغم على ذلك، فسَلّطت عليه الحروب والفتن تسليطاً.

### 1- حكمته

كان الإمام علي شخصية موهوبة وصاحب حكم كونية بالنسبة إلى الشيعة، فأينما ولوا وجوههم اصطدموا بحكمه؛ تلك الحكم التي تستهوي الأفتدة وتسلب العقول، فهو الخطيب المفوّه في نهج له من البلاغة. هذه الحكم التي يلتقي بها الإنسان أينما اتّجه إليه الخطاب البليغ، لأنّه كان أديباً بليغاً له نهج من الأدب والبلاغة، يقتدي به المقتدون، وقسط من الذوق مطبوع بمجده المتذوقون، فهو الحكيم الأديب والخطيب المبين والمنشئ لحكم الأجيال. فقد كان صاحب آراء في التصوف والتشريع والأخلاق سبقت جميع الآراء في الثقافة الإسلامية، وكم هي كثيرة تلك الحكم والخطب المعروفة لعلي بن أبي طالب، وكم هي متعددة الوصايا التي وجهها الإمام إلى الناس فطلّت راسخة في الأذهان، وقد حمل نهج البلاغة بين دفتيه حكماً ومواعظ ما لا عين رأت وما لا أذن سمعت، وكانت حكمه متنوعة ومتعددة تتّسم بطابع كوني لدى الشيعة شملت علاقة الإنسان بنفسه وعلاقته بغيره وعلاقته بالله. وقد عرف الإمام أنّ للناس نوازع شرّ ونوازع خير فدعا إلى التشديد عليها، ودعا الناس إلى الإيمان بالله وبرسوله وعدم الخروج عن طاعته. وكان بفضل حكمته يرشد الناس ويهديهم إلى الصراط المستقيم، ويحثّهم على العمل الصالح، من ذلك قوله المشهورة: "خذوا رحمكم الله من ممرّكم لمقرّكم ولا تهتكوا أستاركم عند من لا يخفى عليه أسراركم، واخرجوا من الدنيا قبل أن تخرج منها أبدانكم فلاخرة خلقتم وفي الدنيا حبستم".<sup>71</sup> فحكّمه أصبحت قواعد أساسية لدى الشيعة يعملون بها في مختلف شؤون حياتهم، هذه الحكّم بفضلها كان يعظ الإمام علي ويرشد الناس، ويصور علاقة الإنسان بخالقه فقال حكماً ظلّت مضرب أمثال الأمم، من ذلك "جهل المرء بعيوبه من أكبر ذنوبه"<sup>72</sup> و"من أحبّ المكارم اجتنب المحارم"<sup>73</sup> ونغمته الزاهدة ودعوته إلى الزهد تتكرّر في جميع خطبه، ومنها "الزاهد في الدنيا كلما ازداد الله تجلياً ازداد عنها تولياً"<sup>74</sup> فحكمه كانت جامعة مانعة شملت جميع مجالات الحياة، فتحدث عن العدل والإحسان والكرم، وتحدث عن الشجاعة وأوصى بالجيران والضعفاء والاهتمام بما يصلح للعباد من صلاة وزكاة وغيرها، فكانت حكمه ملتقى للنفوس البشرية أينما اتجه إليها الخطاب.

<sup>71</sup> - الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 194

<sup>72</sup> - م.ن، ص 195

<sup>73</sup> - م.ن، ص ن.

<sup>74</sup> - م.ن، ص ن.

## 2- علمه

لا يمكننا في هذا الإطار أن نتغافل عن الإقرار بمنزلة علي العلمية والمعرفة الكلية التي رسمت له صورة مميزة في المخيال الشيعي، فلم يكن علي بالنسبة إليهم شخصية عادية، بل تميز بمعرفة جعلته يرقى على أهل زمانه، فكان إماماً بفضل علمه ومعرفته، هذه المعرفة التي تلقاها وتعلمها من النبي بحكم أنه كان من أخصّ خاصته وأقربهم إليه، يقول علي: "علمني ألف باب من العلم وفتح لي في كل باب ألف باب".<sup>75</sup>

يفضل قربه من الرسول كان لا يجتهد إلا وأصاب، ومثّل منبعاً فقهياً وقضائياً مهماً، ظهرت هذه المعرفة وهذا العلم في مجالات متعددة، إذ قال عنه النبي محمد: "أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليقتبس من علي عليه السلام"<sup>76</sup>، وهذا إن دلّ على شيء فهو يدلّ على معرفة الإمام علي الكاملة بالوحي الذي أنزل على النبي محمد تفسيره وتأويله الناسخ منه والمنسوخ زمن نزوله، كما كان يعلم بأصول الفقه والتشريع. فبعد موت الرسول كان الإمام علي محلاً للفتوى والسؤال خاصة أنه كان في غاية الذكاء، وكان حريصاً على العلم والتعلم خاصة في أمور القضاء، إذ قال الرسول في حقه: "أقضاكم علي والقضاء يستلزم العلم والدين".<sup>77</sup> وقد شملت معرفته كذلك الله والتوحيد ونفي التشبيه عنه والوصف لعدله، فقد قال في الحثّ على معرفة الله والتوحيد "أول عبادة الله معرفته وأصل معرفته توحيدة ونظام توحيدة نفي التشبيه عنه جلّ عن أن تحلّه الصفات لشهادة أنّ كل من حلّته الصفات مصنوع وشهادة القول أنه جلّ وعلا صانع ليس بمصنوع".<sup>78</sup> فكانت معرفته تشمل المسائل الماورائية في صفة الله، وقد كان من الدعاة للعلم وبنوّه بفضل العلم والعلماء ويعلي من قيمة العالم بقوله: "العالم أعظم أجراً من الصائم القائم المجاهد"<sup>79</sup>، وشملت معرفته القرآن والسنة وأصول الفقه وعلم الكلام؛ أي كل ما يتعلّق بالدين الإسلامي، لتصل إلى الديانات الأخرى يتّضح في قوله: "يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني فإنّ عندي علم الأولين والآخرين أما والله لو ثني لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الزبور بزبورهم وبين أهل الفرقان بفرقانهم".<sup>80</sup> فمعرفته كانت جامعة شملت جميع العلوم وكل الأديان، هذه الميزة العلمية ساهمت هي الأخرى في رسم صورة مثالية له، إذ كان أقدمهم سلماً وأكثرهم علماً كما كان أكثرهم حليماً مقارنة بالصحابية الآخرين، ففي شخصيته جمعت صفات جل الأنبياء فهو صورة مصغرة عنهم "قال الرسول (ص) من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه و إلى نوح في فهمه و إلى إبراهيم

75- م ن، ص 32

76- م ن، ص 31

77- الحلي، نهج الحق وكشف الصدق، ص 236

78- الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 151

79- م ن، ص 155

80- م ن، ص 32

في حلمه وإلى موسى في هيبته وإلى عيسى في زهده فليُنظر إلى علي بن أبي طالب<sup>81</sup> وحسب أغلب المصادر فإنّ جميع العلوم مستندة إليه وتعود له كعلم الكلام والفقه والتصوّف والشريعة والأخلاق.

### 3- المعجزة في سيرة الإمام

عندما ننظر في المنظومة الخوارقية والإعجازية لسيرة علي بن أبي طالب، نلاحظ مدى أهميتها وأهمية الكرامات التي ظهرت على يديه، وقد مثلت هذه المنظومة نوعاً من أنواع السيطرة الكاريزماتية (charisme) التي مارسها الإمام أثناء حياته وسمت سيرته بطابع أسطوري، خاصة بعد مماته وفي منظور أتباعه. فهو إمام بفضل كراماته وسيرته الإعجازية. هذه السيرة لم تكن من صنف البشر العاديين، بل ارتقت إلى مصاف الرسل والأنبياء وتجلّى هذا المعجز في سيرته على مستويين اثنين؛ أولهما التنبؤ بالغيب وثانيهما الكرامات التي أجزاها الله علي يديه.

#### أ- التنبؤ بالغيب

كما هو معلوم، فإنّ الغيب لا يعلمه إلا الله، ولكن الإمام علياً كان لدى الشيعة من أهم الأئمة الذين أجرى الله على يديهم ما أجرى من كرامات المكاشفة والتنبؤ بالغيب التي وظّفت أساساً لإظهار قدرته الخارقة، فقد أصبح نموذجاً للإمام المنتبئ. وعديدة هي الأخبار التي وردت في شأن المكاشفة ومعرفة الواسعة بما كان وبما سيكون، فمن الأخبار التي جاءت بذكره عليه السلام الحادث قبل كونه وعلمه به قبل حدوثه خبر موته ومعرفة بقائه ويوم موته، فكان ينعى نفسه وكان يعلم أن عبد الرحمن بن ملجم المرادي قاتله، وجاء في الإرشاد "جمع أمير المؤمنين عليه السلام الناس للبيعة فجاء عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله فرده مرتين أو ثلاثاً ثم بايعه، فقال عند بيعته له ما يحبس أشقاها فو الذي نفسي بيده لتخضّبن هذه من هذا، ووضع يده على لحيته ورأسه"<sup>82</sup>. فكان يعلم أن عبد الرحمن بن ملجم قاتله وأنشد في ذلك شعراً (الرجز):

أشدُّ حَيَازِيمِكَ لِلْمَوْتِ      فَإِنَّ الْمَوْتَ لِأَقْيَمِكَ  
وَلَا تَجْزَعُ مِنَ الْمَوْتِ      إِذَا حَلَّ بِوَادِيكَ<sup>83</sup>

فقد ظهر الطابع العجائبي من خلال نعي نفسه، فقد كان يعلم بموته وكان يعرف أنّ المرادي قاتله لا محالة، وقد قال هذا الشعر صراحة في حضوره وحضور مجموعة من الصحابة، فهذه المعرفة الواسعة تدلّ على طابع عجائبي كبير وسم سيرة الإمام فرسمت له صورة مثالية تصل حد الرسل والأنبياء في منظور أتباعه

<sup>81</sup>- الحلي، نهج الحق وكشف الصدق، ص 232

<sup>82</sup>- الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 18

<sup>83</sup>- الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 18

(الشيعية). ويورد الإرشاد جملة من المكاشفات ومن الأخبار عن الغيب المتصلة بأمر المؤمنين وشائعة الرواية بين العلماء وفي كتب التاريخ، فقد كان يعلم بمقتل ابنه الحسين في كربلاء في وقت متقدم جداً من حياة الرسول، إذ يقول الإمام الحلي "ولما اجتاز بكربلاء في وقعة صفين بكى وقال هذا والله مناخ ركابهم وموضع قتلهم وأشار إلى ولده الحسين وأصحابه".<sup>84</sup> فقد كان يعلم بما كان وما هو كائن وبما سيكون ويستكشف ما هو مجهول ويعلم ما هو مخفي، كما كان يعلم بمصير الأمة بعد موته، وما سيحصل لهم، يظهر في قوله: "أيها الناس إني دعوتكم إلى الحق فتوليتكم وضربتكم بالدرة فأعيتموني أما وإنه سيليك من بعدي ولا لا يرضون منكم بهذا حتى يعذبوكم بالسياط والحديد، إنه من عذب الناس في الدنيا عذب الله في الآخرة، وآية ذلك أن يأتيكم صاحب اليمن حتى يحل بين أظهركم، فيأخذ العمال وعمال العمال رجل يقال له يوسف بن عمرو وكان الأمر كذلك في ذلك كما قال عليه السلام".<sup>85</sup> فلقد أجرى الله على يديه من التنبؤات والعلم بالغيب ما لم يكن لغيره فمثل بذلك نموذجاً طريفاً في المعرفة الاستباقية، هذه المعرفة التي وسمته بطابع عجائبي أسطوري ارتقت به إلى مصاف الرسل والأنبياء.

### ب- الكرامات

عددت المؤلفات الشيعية وخاصة "الإرشاد" الكرامات التي خص بها الله الإمام علياً، والتي دخلت في باب المعجز والدليل الباهر، وصلت إلى معجزات الأنبياء والرسل الأصفياء. وكانت هذه الكرامات من الخارق للعادة، وفيما أجراه الله على يديه من الكرامات أنه كان مستجاب الدعاء قريباً من الله، إذ ورد في الإرشاد أن أحد الوشاة كان يرفع أخباره إلى معاوية، فلما سأله الإمام عن ذلك أنكر، ووجد، فقال له أمير المؤمنين: "إن كنت كاذباً أعمى الله بصرك، فما دارت الجمعة حتى أخرج أعمى يقاد قد أذهب الله بصره".<sup>86</sup> وهذه الكرامات تعود بالأساس إلى حلمه وورعه وتقواه وكثرة عبادته وقربه من الله وتودده إلى الرسول وحسن معاملته إياه، فقد أجرى الله في أمير المؤمنين من الخارق للعادة، واختصه بكرامات انفرد بها عن سواه، من ذلك أن الحروب التي خاضها علي لا تحصي ولا تعدّ، والفتوحات التي شارك فيها عديدة ومتعددة إلا "أنه لم يوجد في ممارسي الحروب إلا من عرّته بشر ونيل به بجراح أو شين إلا أمير المؤمنين، فإنه لم ينله من طول زمان حرب جراح من عدو ولا شين ولا وصل إليه أحد منهم بسوء".<sup>87</sup> وهذه الأخبار وغيرها كثيرة في سيرة علي بن أبي طالب والمجال لا يتسع لحصرها جميعاً، ولكن تبقى الأكثر شهرة، والتي تفوق العقل والخيال البشريين

<sup>84</sup>- الحلي، نهج الحق وكشف الصدق، ص 243

<sup>85</sup>- الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 210

<sup>86</sup>- الشيخ المفيد، الإرشاد، ص 228

<sup>87</sup>- م.ن، ص 200



حادثة رجوع الشمس على الإمام علي، هذه الحادثة تكلم عنها علماء السيرة والآثار ونظم فيها الشعراء الأشعار إذ "كان رجوعها عليه بعد النبي (ص) أنه لما أراد أن يعبر الفرات ببابل اشتغل كثير من أصحابه بتعبير دوابهم ورحالهم، وصلى عليه السلام بنفسه في طائفة معه العصر، فلم يفرغ الناس من عبورهم حتى غربت الشمس ففاتت كثيراً منهم، وفات الجمهور فضل الاجتماع معه، فتكلموا في ذلك، فلما سمع كلامهم فيه سأل الله تعالى ردّ الشمس عليه ليجتمع كافة أصحابه على صلاة العصر في وقتها، فأجابه الله تعالى في ردّها عليه وكانت في الأفق على الحال التي تكون عليه وقت العصر، فلما سلّم القوم غابت الشمس فسمع لها وجيب شديد هال الناس"<sup>88</sup>.

وقد رجعت الشمس في حياته ثلاث مرات مرتين في عهد الرسول وأخرى بعد موته، فالخارق للعادة والمعجز وسم حياته منذ صغره إلى كبره، منذ إسلامه المبكر، وهو لم يتجاوز التسع سنين إلى نعيه نفسه ومعرفته بموته قبل ساعات محدودة. كل هذه الخوارق والكرامات أدت إلى رسم صورة أسطورية تحدّثت عنها الكتب التاريخية والخرافات الشعبية الشيعية، هذه الصورة لم تولد من فراغ، بل تضخّمت نتيجة عدة عوامل، وهذه العوامل أدت إلى رسم صورة خلّاقة للإمام علي لدى أهل الشيعة.

ونحن عند استقرائنا لهذه الصورة وبعض المعجزات وخاصة معجزة رجوع الشمس، نلاحظ طابعاً عجائبيّاً كبيراً ومفارقاً للواقع يرتبط بالخيال والعاطفة أحياناً. هذه الصورة رسمتها العاطفة والحب الشديد لعلي، كما رسمتها ظروف نفسية مقموعة وكبت واضطهاد سياسي عانى منه الشيعة على امتداد فترات تاريخية من يوم اجتماع السقيفة وإبعاد علي عن سدّة الحكم، وتضاعف الألم عندما تولى الأمويون الحكم، وتم قتل الحسين بطريقة بشعة في كربلاء. فهذه الصورة، وإن كان لها ارتباط كبير بالواقع، فإنها في بعض الأحيان تكون في غاية المفارقة والتخييل والطوباوية.

## الخاتمة:

سعيًا في بحثنا هذا إلى الكشف عن صورة الإمام علي بن أبي طالب عبر التاريخ وفي منظور شيعته، والعرض التحليلي الذي قمنا به أكد لنا المكانة المهمة التي حظي بها علي بن أبي طالب الإمام الشرعي المضطهد في نظر الشيعة، ولئن كان منطلقنا في هذا العمل يتمثل في التعريف بكتابي "الإرشاد إلى حجج الله على العباد" للشيخ المفيد و"نهج الحق وكشف الصدق" للإمام الحلي، باعتبارهما المصدرين الأساسيين في البحث، فإننا قد عرفنا في نقطة موائية ببعض المصطلحات التي مثلت عهدتنا في هذا العمل، ومنها: "صورة الإمام، الشيعة الاثنا عشرية، المعجزة"، وحاولنا قدر الإمكان التعريف بها على المستويين اللغوي والاصطلاحي. وقد حرصنا على أن ينصبَّ اهتمامنا أكثر ما ينصبَّ على صورة الإمام علي بن أبي طالب ضمن منظور شيعي في ثلاث مراحل تاريخية تعتبر مهمّة في حياته وقفنا من خلالها على نتائج تتمحور في ثلاثة مستويات.

مستوى أول: جسده المرحلة الأولى "صورة علي في حياة الرسول"، فكشفنا النقاب عن هذه الصورة، وركزنا فيها بالخصوص على أربع نقاط أساسية، فكشفنا عن أهم صفاته وما تميّز به من هيبه وكاريزما (charisme) لا مثيل لها ثم وقفنا على علاقة علي بالرسول وما اتّسمت به هذه العلاقة من تكامل وانسجام، حتى أنّ الرسول نزل منه منزلة هارون من موسى، وكان المعترف الأساسي بشرعية خلافته، هذه الشرعية التي تجسّدت من خلال نص قرآني صريح وأحاديث نبوية واضحة، كما بيّنا الجانب البطولي فيه من خلال استعراض بطولاته والشجاعة التي عرف بها، والتي ظلّت مضرب الأمثال "سيف الإسلام".

مستوى ثانٍ: مثلته المرحلة الثانية "صورة علي في عهد الخلفاء الثلاثة"، وكان ممّا بيناه أنّ علياً كان يملك حكمة لا مثيل لها، فقد كان الخطيب المفوّه والحكيم المجادل ولسان حال الأمة ورجل السياسة بامتياز، خاصة أنّه مثل مرجعاً فقهياً وقضائياً لدى الخلفاء الثلاثة.

مستوى ثالث: كان في "صورة علي الإمام" وما عرف به في هذه الفترة من مروءة وشهامة وسياسة خلافة، وما اتّسمت به هذه الشخصية من ورع ومن طابع أسطوري وسم سيرته، تجلّى خاصة في الطابع المدهش والمعجز الخلاق والخارق للعادة من خلال الكرامات التي حصلت له.

وقد رمنا من وراء هذا المبحث دراسة صورة الإمام علي من المنظور الشيعي، فوجدناها مغرقة في المثالية ولها كاريزمة وصلت كاريزمة الأنبياء والرسول، ويمكن القول عموماً وعلى ضوء ما تعرضنا له، إنّ دراسة صورة الإمام علي ومقاربتها وعرضها على مجهر البحث تكتسي أهمية متزايدة وطابعاً خاصاً، لاسيما

أنه من الصحابة الأجلاء ومن آل بيت الرسول. فإذا كانت هذه هي صورة الإمام علي بن أبي طالب في منظور الشيعة، فكيف هي في منظور السنة؟ وهل لها التوجه نفسه؟ هل النظرة السنيّة تماثل النظرة الشيعيّة أو تقترب منها؟ سؤال يبقى معلقاً ويبقى مشروعاً للبحث؟

## قائمة المصادر والمراجع:

### المصادر:

- الإمام الحلي، نهج الحق وكشف الصدق، الكتاب اللبناني، بيروت 1982
- الشيخ المفيد، الإرشاد إلى حجج الله على العباد، دار الأعلمي للمطبوعات، ط1 2008
- المعاجم والدوريات
- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، طبعة جديدة محققة.
- دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع، ط1، 1998

### المعاجم العربية:

- بوهلال (محمد)، العقدي والمعرفي في علم الكلام، كلية الآداب بسوسة، 2008
- جعيط (هشام)، الفتنة، دار الطليعة، بيروت 1995
- الحسني (هاشم معروف)، سيرة الأئمة الاثني عشر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت 1982
- حسين (طه)، على هامش السيرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت ج4، 1981
- الخالدي (صلاح عبد الفتاح)، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1988
- عبده (محمد)، شرح نهج البلاغة، دار البلاغة للطباعة، بيروت، ط4، 1989
- محمد (الولي)، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990
- هلال (محمد غنيمي)، النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة ودار العودة، بيروت، 1973

### الدوريات:

- A.J.Wensinck « Mo'djiza », EI2, tome 7. Lieden, 1990
- J. Wensinck « Sura », EI2, tome 9
- I.Veccia Vaglieri « Ali B Abi Taleb », EI2, tome 2
- S.H.Nasr "Ithna 'achriya", EI2, tome3
- W.Madelung "Imama, EI2, tome 3
- Larousse, dictionnaire des noms communs, Paris 1989



MominounWithoutBorders



@ Mominoun\_sm



Mominoun

الرباط – المملكة المغربية  
ص.ب : 10569  
هاتف: 00212537779954  
فاكس: 00212537778827  
info@mominoun.com  
www.mominoun.com